

شباب العالم.. هل من ميثاق جامع؟

مقاربة تحليلية استشرافية

الدكتور: علي الصالح مؤلى
جامعة صفاقس – تونس

تنويه:

اعتمدنا في هذا البحث نصوصاً رسمية من موثائق ومعاهدات ودراسات أصدرتها الهيئات التابعة لمنظمة الأمم المتحدة كاليونسكو ومنظمة العمل الدولية ومنظمة الأغذية والزراعة (الفاو) والبنك العالمي والمجلس الاقتصادي والاجتماعي للجمعية العامة، وتلك التي صدرت عن بعض التكتلات الجهوية والقارية. والغرض من ذلك أمران: الانطلاق من معطيات واقعية لتكوين ما يمكن أن نسميه خارطة عالمية لتوزيع الشباب في العالم ولنوع الحياة التي يحيون من جهة، والاستضاءة بما تجمع لدينا لصياغة بعض التصورات المساعدة على إنتاج ملامح شخصية شبابية ذات قاع إنسي عميق من جهة ثانية.

مقدمة: في إحياءات العنوان

لا ننكر أننا نحمل عنوان هذا البحث ما لا يتحمله الواقع. فاختيارنا الصيغة التركيبية: "شباب العالم" بدل: "الشباب في العالم" فيه تجاوز للحقيقة التاريخية. ففي العالم شباب ينتمون إلى مجتمعات وثقافات ودول وقيم وأنماط عيش وسلوك¹¹. فأَيّ مبرر يكسر هذا القانون العمراني؟ وأَيّة قوّة تأثيرية يملكها فيخرج بها الوجود من التعدّد إلى الوحدة؟ وهل يمكن حقاً إبرام ميثاق أو عهد يتخفّف بموجبه الشاب من ضغط المحلي أو القومي أو الحضاري توسيعاً لما يمكن أن نسميه الإنسيّ فيه. يبدو أنّ القسم الثاني من العنوان جاء ليضفي نوعاً من المعقوليّة على القسم الأول. فصيغة التساؤل التي جاء فيها تعني أننا في وضع بحث عن إمكانات أو أحلام يصبح بها التعدّد تنويعاً في التجربة وسبيلاً إلى الحوار والتلاقي والاشتراك في الهموم والتطلّعات. ولكننا أردنا هذه الصيغة التعبيرية "هل من ميثاق جامع؟" دون غيرها من الصيغ، لأننا نعتقد بأنّها بقدر ما فيها من قدرة على الإبانة عن رغبة في جمع الشباب على أهداف كبرى واحدة، فيها قدرة أيضاً على الإبانة عن الصعوبات التي تصدّ تلك الرغبة، بل لا نرانا من وراء هذه الصيغة إلاّ في المكان القلق من أرضية البحث في مستقبل الشباب. فكثير من المعطيات التي سنعرض واجهتنا بمساحات شاسعة من الاعتداء المادي والرمزي والنفسي على أجيال المستقبل وكشفت بالإحصاء والتوثيق والشهادات والصور عن توجّهات عالمية لاستبعاد الشباب وتهميشه وإذلاله وحشره محرقاً في حروب يؤجّجها الكهول وتشجّعها قيم

وثقافات وفلسفات ومصالح لا تضع في الاعتبار أنّ الخاسر في حاليّ النصر والهزيمة هو الإنسان عامّة والأجيال القادمة التي ستتحملّ وزر الآباء خاصّة.

فبحثنا إذن واقع بين سياق تاريخيّ لا تُظهر الوقائع فيه ما تجعل الدارس مطمئنًا إلى المآل الذي هو ذاهب إليه، وإنّ أغرى الخطباء والسياسيّون بخلاف ذلك، ورغبةً نحاول أن نبني مشروعيتها على ما نعتقد أنّه عنصر أصيل في الإنسان. نقصد الجانب الخير الكامن فيه من ناحية، والطاقات التي عنده، تلك التي إنّ أحسن توظيفها خرج ذاك الجانب من الكمون وأدّى أدوارا يغنم منها الإنسان مغام شتّى من ناحية ثانية. إنّنا نطمح من وراء هذا البحث إلى أن نقف على العوائق التاريخيّة والموضوعيّة التي تحرم الشباب في العالم من أن يكون قريبا بعضه من بعض وإلى أن نشير إلى مسالك قد تسلط ضوءا على إمكانات للالتقاء حول شبكة من القيم والمعاني الموحّدة. وحين تكون المشتركات بين الشباب أكثر من المفترقات يمكن الاطمئنان إلى مصير العالم.

الشباب قضية للبحث

• مصطلح الشباب: استحالة الفصل بين مصطلحات متجاوزة

سنستخدم مصطلحات هي الشباب (jeunesse) والمراهقة (adolescence) والطفولة (enfance) رغم أنّ كلّ واحد منها يحيل على مقطع معيّن من الأعمار² ويستدعي عادة رؤية تربويّة ونفسية واجتماعيّة خاصّة به. لكنّ هذا التقطيع الزمنيّ الحديّ لا يستطيع في رأينا أن يمنع تسرّب ما يُعدّ من "ممتلكات" الطفولة إلى المراهقة مثلا، كما أنّ التفريق بين المراهقة والشباب يبقى محصورا في قضايا محدودة باعتبار أنّ المراهقة حسبّ ذاك التقطيع الزمنيّ داخلةً إلّا سنتيها الأولى والثانية (سنّ الثالثة عشر والرابعة عشر) في مرحلة الشباب التي لا تزيد عنها بدورها إلّا بخمس سنوات (من 20 سنة إلى 25 سنة). وقد يذهب المتخصّصون في التقطيع إلى ما هو أبعد فيجعلون المرحلة العمرية المتراوحة بين 20 سنة و 24 سنة ذات طبيعة مميّزة ويطلقون عليها مرحلة "الشباب الكهول" (les jeunes adultes). ونشير في هذا الصدد إلى أنّ المادة الأولى من اتفاقية الأمم المتّحدة حول حقوق الطفل تمدّ سنّ الأطفال إلى الثامنة عشرة سنة: "يعني الطفل كلّ إنسان لم يتجاوز الثامنة عشرة ما لم يبلغ سنّ الرشد قبل ذلك بموجب القانون المنطبق عليه"³. وهذا يُفهم في إطار حرص المشرّع الأمميّ على توفير أكبر قدر ممكن من الضمانات لتجنيب حياة هذه الفئة العمرية التي مازالت في حاجة إلى الرعاية ما يمكن تجنّبه من مشاكل. فتخليص كلّ فئة عمرية من غيرها تخليصا كاملا أمر غير ممكن لذلك نفضّل أن تُحدّد كلّ فئة بما يغلب عليها من ميزات مع بقاء المعابر رابطة بينها. وإذ قد اخترنا هذا، فلأنّنا نرى أنّ التسريبات التي أومأنا إليها ذات أثر فعّال في تشكيل معالم الشخصية الشبابة. فالطفولة المحرومة من المدرسة لا يمكنها إلّا أن تقود إلى جيل شبابيّ أمّي، والطفولة

التي شرّدتها الحروب وفتكت بها الأوبئة لن تكون ثمرتها إلاّ شبابا هزيلا جسدا وروحا. ومن هنا كان الإلحاح في الاتفاقيّة الدوليّة لحقوق الطفل على التنشئة السليمة استعدادا لأداء الأدوار اللازمة في المستقبل. فقد جاء في ديباجة الاتفاقيّة: "ينبغي إعداد الطفل إعدادا كاملا ليحيا حياة فردية في المجتمع وتربيته بروح المثل العليا المعلنة في ميثاق الأمم المتّحدة وخصوصا بروح السلم والكرامة والتسامح والحرية والمساواة والإخاء". وجاءت الفقرة (ج) من المادّة التاسعة والعشرين تؤكّد ذلك: "إعداد الطفل لحياة تستشعر المسؤوليّة في مجتمع حرّ بروح من التفاهم والسلم والتسامح والمساواة بين الجنسين والصداقة بين جميع الشعوب والجماعات الإثنيّة والوطنية والدينيّة والأشخاص الذين ينتمون إلى السكّان الأصليين".

• الاتفاقات والمواثيق المبرمة لصالح الشباب:

انتبهت المنظّمات الأمميّة إلى ما يتهدّد هذه الفئة العمريّة من مخاطر كالأميّة والتشرّد واستغلالها في العمل وإقحامها في النزاعات والحروب. وأصدرت في هذا قرارات ومعاهدات منها: إعلان تنمية قيم السلام لدى الشباب سنة 1965⁴، وإعلان المبادئ الرئيسيّة لمتابعة نشاط الشباب وتنظيمه سنة 1985⁵، وبرنامج العمل الدوليّ للشباب في أفق سنة 2000 وما بعدها سنة 1995⁶، واتفاقيّة دكّار لتعزيز طاقة العمل لدى الشباب سنة 2001⁷

كثيرة هي النصوص الأمميّة أو المحليّة أو القاريّة التي نادى بحقوق الإنسان. والشباب طرف معنيّ فيها من جهة كونه إنسانا. وفوق ذلك خُصّ بملتقيات ودراسات وتشريعات ومناسبات احتفاليّة تجعله عنصرا أساسيا حين تُرسم الإستراتيجيّات التنمويّة بصفة عامّة. فقد ضبط على سبيل المثال "برنامج العمل العالميّ لفائدة الشباب في أفق سنة 2000 وما بعدها" الأولويّات العشر التالية: التعليم، التشغيل، الجوع والفقر، الصّحة، البيئة، المخدّرات، الجنوح، الأنشطة الإبداعية، الشبّات.

• أرقام ودلالات:

أ- أصدر البنك الدوليّ سنة 2007 تقريراً حول التنمية خصّصه للشباب ووضعه تحت عنوان: "التنمية والجيل القادم". وهو يأتي في سياق الوعي بالعلاقة الوطيدة بين الشباب والمستقبل وبأنّ الكبار اليوم إنّ لم يُنصّفوا أبناءهم سيتركّونهم يصارعون مشاكل لم يكونوا طرفا في إنشائها وسيصبح المستقبل مُثْقَلا بأعباء السابقين ومساحة للقلق والخوف وأرضا تسهل فيها النزاعات والحروب. والدراسات المستقبلية ترسم ملامح الدول والأوطان والكون بصفة عامّة، ولا شكّ في أنّ الشباب هو العنصر الذي يُفترض أنّ يكون مدار تلك الدراسات لأنّه الجهة الوحيدة التي ينبغي أنّ تجني الثمار. لكنّ، هل يكون إنسان المستقبل هو فعلا من تُنجز من أجله الأبحاث؟ هذا سؤال، وإنّ كان يحتاج إلى تقصّد دقيق وشامل في الآن نفسه، فإنّ كثيرا من القرائن الحيّة تقدّم إجابات غير مطمّنة. فجموع غفيرة من الشباب في العالم وعبر التاريخ تسقط فريسة ما

صنع الكبار. إنهم وقود الحروب وإن لم يشعلوها وضحية تنتعش فيها الأمراض الفتاكة والأوبئة والفقر والجوع والعنف والكراهية. فالمستقبل إذن لا يمكنه أن يكون إلاّ تحصيل حاصل. ولا نعلم أن جيلا واحدا في زمن واحد استطاع أن يحدث في الأمور العظيمة تغييرا عظيما.

وتضمّن التقرير معطيات مهمّة نسجل بعضها:

- حوالي ثلث تدفّقات المهاجرين من كافّة البلدان النامية تتراوح أعمارهم بين 12 سنة و 24 سنة. ونصفهم ممّن تتراوح أعمارهم بين 12 سنة و 29 سنة⁸.

- تفيد نسبة تتراوح بين 50 في المائة و 90 في المائة من الشباب في بعض البلدان أنّها ترغب في الهجرة إذا سنحت لهم تلك الفرصة، ولذلك فإنّ من الأرجح أن يلجأ الشباب إلى الهجرة غير المشروعة والوقوع ضحية الاتّجار بهم⁹.

- تفيد التقديرات أنّ 300000 من الشبّان دون 18 سنة هم الآن منخرطون أو كانوا حتّى عهد قريب في صراعات مسلّحة، وأنّه تمّ تجنيد 500000 منهم في قوّات عسكريّة أو شبه عسكريّة¹⁰.

- إنّ ما يزيد على 100 مليون شابّ يصابون سنويّا بأمراض تنتقل جنسيّا بما في ذلك مرض الإيدز.

ب- قدّم الأمين العامّ لمنظمة الأمم المتّحدة إلى الجمعية العامّة في دورتها السّتين (2005) تقريرا بعنوان: "تقرير الشباب في العالم لعام 2005". ومما جاء في مقدّمته:

- "في ما بين عامي 1995 و 2005، زاد عدد الشبّان في العالم، أي الأشخاص الذين تتراوح أعمارهم بين 15 سنة و 24 سنة، من 1025 مليون إلى 1153 مليون نسمة¹¹. وأصبح الشباب يشكّلون في الوقت الراهن 18 في المائة من عدد سكّان العالم¹².

- "إنّ من هم دون الخامسة عشرة من العمر (الصبيّة) يمثلون ما نسبته 30 في المائة من مجموع سكّان العالم. وهذا يعني أنّ الحاصل الإجماليّ من سكّان العالم دون الرابعة والعشرين يقترب من 50 في المائة. ويلفت التقرير النظر إلى أنّ 85 في المائة من شباب العالم، يعيشون في البلدان النامية¹³.

ت- أصدرت منظمة العمل الدوليّة (OIT) بمناسبة الانطلاق الرسميّ لفعاليّات السنة الدوليّة للشباب 2010 تقريرا تحت عنوان: "الاتّجاهات العالميّة لتشيغيل الشباب". وتضمّن أرقاما لا يمكن إلاّ أن تثير الانتباه:

- يشير التقرير إلى أنّ عدد الشباب الناشطين اقتصاديّا (les jeunes économiquement actifs) هو: 620 مليون شاب¹⁴.

- شهدت سنة 2009 بطالة 81 مليون شابّ من هؤلاء. وهذا رقم قياسيّ. فقد صعد العدد في سنتين فقط (من 2007 إلى 2009) صعودا مخيفا فُدّر بـ: 7.8 مليون شابّ.

- كشف التقرير عن مستويات الفقر العالية في أوساط الشباب فهو يمثل ما نسبته 24% من مجموع فقراء العالم (18%). وبناء على توقّعات المنظّمة الدوليّة للعمل يبقى هذا العدد مرشّحا للزيادة.

- يرى التقرير أنّ لهذه الاتجاهات التي رصدها "نتائج بالغة الخطورة على الشباب والحال أنّ الوافدين الجدد على سوق الشغل سيساهمون في إطالة صفوف الذين هم فعليًا بلا عمل". وساق توجّسا لا نراه إلاّ صحيحا وهو أنّ هذا الوضع الاقتصادي/الاجتماعي العالمي قد ينتهي إلى خلق "جيل ضائع" (une génération perdue)¹⁵.

ث- وجاء في "مركز أنباء الأمم المتّحدة:

- "في إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى يوجد أكثر من 40 مليون طفل يتيم من بينهم نحو 11.4 مليون يتيم بسبب الإيدز تحديدا"¹⁶.

- نقل المركز عن الخبيرة مارسيليا فيلاريال مديرة شعبة الشؤون الجنسانية والإنصاف والعمالة الريفيّة لدى منظّمة الأغذية والزراعة (الفاو): "إنّ الأطفال والشباب يقع على عاتقهم أشدّ الأعباء المترتّبة على أزمة الإيدز، إذ حين يفقدون أولياء أمورهم يصبحون عرضة لأخطار الجوع والفقر والأمراض والنزاعات والاستغلال الجنسي والهجرة القسريّة والتدهور البيئي"¹⁷.

ج- أصدر معهد الإحصاء التابع لليونسكو سنة 2010 دراسة عنوانها: "مراهقون لم يدخلوا المدرسة"¹⁸ (adolescents non scolarisés) ووقع تصديرها بمعطيين إحصائيين أنجز الأول البنك الدولي. وأنجز الثاني سنة 2009 فريق بحث معروف بـ: "G8 Education Experts". أمّا المعطى الأول فيشير إلى أنّ 118.7 مليون مراهق لم يلتحقوا بالمرحلة الأولى من التعليم الثانوي. وأمّا المعطى الثاني فيذكر أنّ 266 مليون مراهق لم يلتحقوا بالتعليم الثانوي بمرحلتيه.

ح- أورد جيتان يآو (Gaétan Yawo) في مقاله: "Demain les jeunes" المنشور بمجلة: "Afriquespoir"¹⁹ المعطيات التالية:

- تشير الإحصاءات إلى أنّ 57 مليون شاب و 96 مليون شابة أميون.

- ذكرت دراسة أنجزتها جامعة بيكين أنّ واحدا من كلّ خمسة تلاميذ في التعليم الثانوي في الصين راودته فكرة الانتحار.

- تشير دراسة أنجزت في بريطانيا أنّ 40 في المائة من الشباب جرّبوا استهلاك المخدرات قبل السادسة عشر من العمر.

- تذكر دراسة أخرى أنّ ثلث المصابين بمرض نقص المناعة (السيدا) هم من الشباب (10 ملايين شاب).

- في كل سنة تنجب 14 مليون مراهقة (بين 14 سنة و 19 سنة). وفي هذا الصدد تشير الدراسات إلى أن مخاطر تعرّض هؤلاء للموت عند الوضع أعلى خمس مرّات ممّن هنّ فوق هذا العمر.

خ- انكبّت بعض الدراسات في المجال النفسي والعاطفي على رصد آثار الحروب في نفسيّة الأطفال والشباب. وكان الفلسطينيون والكمبوديون والبوسنيون والعراقيون أرضيّة جيّدة لاستخلاص ما يجب استخلاصه من النتائج. وبدأت تتشكّل نزعاتٌ بحثٍ جديدة مهمّتها تتبّع مخلفات ما صار يُعرّف بالإرهاب على هذه الفئة العمرية. ونورد في هذا الصدد مقطعاً من المقدّمة التي وضعتها مجلّة "الحركة الدوليّة للصليب الأحمر والهلال الأحمر" - (Magazine du mouvement international de la Croix- Rouge et du Croissant- Rouge) تمهيدا لمحور العدد المخصّص لـ "الأطفال والحرب": "كلّ يوم، وبسبب الحرب، يلقي عدد من الأطفال مصرعهم أو يفقدون يداً أو رجلاً أو أمّاً أو أعزّ أصدقائهم أو عائلاتهم بأكملها. كلّ يوم، وبسبب الحرب، يُرغم عدد من الأطفال على ترك مساكنهم وعلى البحث عن المأكل لهم ولأخوتهم وأخواتهم الصغار. كلّ يوم، وبسبب الحرب، يُختطف أطفالٌ ويُجبرون على القتال في صفوف العصابات المسلّحة. أن يكون الواحد من الناس طفلاً في الحرب يعني حرمانه من طفولته"²⁰. وكانّ نايك دانزيجر (Nick Danziger) صاحب الدراسة الميدانيّة التي تضمّنّها هذا العدد من المجلّة يرثي الزمن الذي كانت فيه المرأة والطفل وقت المصائب يُهرعُ إليهما بالنجدة قبل غيرهما: "يبدو أنّ الزمن الذي كان فيه ربّان السفينة، حين تجنح، مثل التيتانيك، يأمر بإنقاذ النساء والأطفال أولاً قد ولى". فما عاد العالم اليوم قادراً على حماية أجيال المستقبل من المخاطر التي تهدّد إنسانيّتهم ووجودهم. إنّ ما ينعاه دانزيجر هو القيم والثقافة والتقاليد التي كانت في أزمان سابقة ترعى ما ينبغي أن يُرعى من الدّم في الظروف كلّها. فثمّة إذن سياق غير سويّ يستبدّ بكثير من مقوّمات الفكر والسلوك العالميّين ويمنع تحويل النداءات والمشاعر والدراسات إلى نظام قيميّ متكامل.

د- أنجز مامبو تابو ماسيندا (Mambo Tabu Masinda) عميد كليّة العلوم الاجتماعيّة بالجامعة الكاثوليكيّة بـ "جراين" (Graben) في جمهوريّة الكونغو الديمقراطيّة دراسة ميدانيّة عنوانها: "تأثير الحرب في تعليم الأطفال في الكونغو" (RDC)²¹. وبدت لنا ذات أهميّة خاصّة لأنّ الذي قدّمته وإن كان ينحصر في مدينة بعينها من مدن جمهوريّة الكونغو الديمقراطيّة، فهذه المدينة لم تكن حالة منعزلة فلا يقاس عليها. إنّ مدناً كثيرة من مدن العالم، بل إنّ دولا كاملة يعيش أطفالها وشبابها مشاهد القتل الفرديّ والجماعيّ وكلّ أنماط الفوضى والهلع واللاأمن. فمدينة "بوتيمبو" (Butembo) تصلح إذن أن تكون مثالا أو عيّنة حظيت بمراقبة حيّة لأوضاع الأطفال والشباب الذين يعيشون تحت خطّ النار²². لقد اعتمدت الدراسة عدداً كبيراً ومتنوعاً من الاستبيانات لتخرج بنتائج حول المدرسة والحرب ورواسب الاضطرابات النفسيّة في أجيال

المستقبل. ومما جاء فيها: إنّ 80% من المستجوبين يحسّون بعدم الأمان وهم في قاعات الدرس. وحين سئلوا عن السبب أجاب 83% بأنّ هجوما مسلّحا عليهم يمكن أن يحصل في أيّة لحظة. ولم يكن خوفهم لمجرّد توقّع قد يكون وقد لا يكون، فالاستبيان بيّن أنّ 95.5% من المُستجوبين ردّوا على السؤال: "هل حدث أنّ دوى صوت الرصاص أثناء الدرس؟" بالإيجاب. وأجاب 72.9% منهم بأنّهم فقدوا في الحرب إمّا فردا من العائلة أو عزيزا عليهم.

وليس من شكّ في أنّ الآثار الخطيرة لهذا الهلع اليوميّ تكون مدمّرة للشخصيّة الإنسانيّة بما تتركه فيها من ندوب تشهد باستمرار على أزمة الإنسان الروحيّة والماديّة. وتلجّ الدراسات المتخصّصة في هذا المجال على خطورة ما يمكن تسميته بالارتجاجات النفسيّة الحادّة (traumatisme)²³ الناتجة عن الأعمال العنفيّة كالحروب خاصّة. ومن مظاهر السلوك التي تشاهد حينئذٍ الخوف والتوتّر والوحدة والرغبة في الهروب. وأمّا ما ينشأ على المدى البعيد، وهو الأشدّ وقعا على بناء الشخصيّة، فموجات متلاحقة من الضغط النفسيّ مصحوبةً بعلامات قلقٍ شديدٍ، وصدماتٍ نفسيّةٍ تؤدّي إلى فقدان الوعي، وعلاماتٍ اكتئاب، وإحساسٍ بالعجز، وضياغُ النقاط المرجعيّة، وأزمة معنى²⁴، كلّ ذلك تحت عنوانٍ جامع: ضغوط ما بعد الارتجاجات النفسيّة (stress post- traumatique). ونجد في السياق نفسه "تقرير التنمية البشريّة العربيّة لعام 2009" ينبّه إلى مخاطر هذا المصير. فقد جاء فيه: "يُعَدّ الأطفال فريسة سهلة للممارسات المدمّرة لأنهم. ولا تقتصر هذه الممارسات على تقويض حرّياتهم، بل تتجاوزها إلى إلحاق أضرار بالغة تُراوح بين العقد النفسيّة والأذى الجسمانيّ والموت"²⁵. وكثيرا ما يتحوّل الأطفال إلى محاربين. وما ظهور مصطلح "الأطفال الجنود" (les enfants- soldats)²⁶ في الأدبيّات الأُمميّة إلّا إقرارا بأنّ الأمر أصبح ظاهرة، وريّما كان في بعض المجتمعات ثقافة. فوفقاً "لتقرير الأمين العامّ عن الأطفال والصراع المسلّح في الصومال للعام 2007، أحدُ التحدّيات التي تواجه التصديّ لتوظيف الأطفال واستخدامهم في أوساط القوى المتقاتلة إنّما يكمن في كونه من الممارسات المتجذّرة في الثقافة الصوماليّة. فما أنّ يتعدّى الولد السنة الخامسة عشرة من عمره حتّى يُصنّف في عداد البالغين، ويغدو على هذا الأساس مؤهّلا لحمل السلاح"²⁷. وفي أوضاع كثيرة لا يكون حمل السلاح إلّا بعد تدريبات تقتل في الطفل كلّ إحساس بالآدميّة. ومن أفظع ما سجّله المراقبون تعويدُ الأطفال- الجنود على أكل لحم الأعداء (cannibalisme) في مسعى إلى انتزاع إحساسهم بالانتماء إلى عالم البشر²⁸. قد تكون هذه حالات نادرة ولكنّ مجرد حدوثها يعكس المهووي التي سقط فيها السلوك البشريّ ويكشف عن حياة أخرى غير حياة النعيم التي تظللّ شبابا آخرين في أمكنة أخرى من العالم.

إنّ مثل هذه الثقافة التي تشكّلت في بيئة قحط وحرب ومجاعة وإهمال دوليّ ألغَتْ من قاموسها مقطعا عمريّا اسمه الشباب. وهذا مؤشر من مؤشرات أخرى على أنّ العالم في حاجة حقّا إلى مراجعات

جزيرة لا فقط لسياساته التنموية وعلاقاته الجيو-إستراتيجية وإنما لشبكة القيم التي تتحكم فيه. فإلغاء ما يمكن أن نعبر عنه بزيينة الحياة (الشباب) لا يعطي إلا مجتمعا بشرياً مشوهاً ومستعداً للدخول في انحرافات شتى. وتسجل الدراسات الاجتماعية أنّ عدداً من هؤلاء الشباب بسبب فقدان المراجع التوجيهية ذات التأثير التربويّ الفعّال وخاصة من طرف الأسرة يكونون فرائس سهلة لأنواع من الانحراف كالإدمان والعنف والتطرف. فالمعروف أنّ الحروب تدفع التجمّعات السكانية إلى عمليات نزوح واسعة سواء داخل البلد الذي تدور فيه المعارك أم خارجه. وفي الحالين يُنزع هؤلاء قسراً من مجال انتمائهم الاجتماعيّ والشعوريّ والاقتصاديّ. وتبقى المخيمات والمعازل التي تنتشر على أطراف الأوطان علامة دالة على التهميش الذي يحياه المطرودون من الحياة الطبيعية والمستقرة وصورة من صور امتهان الكرامة الإنسانية. وقد يُعزّر وطنٌ بكامله فيتحول إلى ملاجئ تقلّ فيها فرص الحياة الآمنة²⁹. وقد لا تحتمل تلك المخيمات أصحاب الوطن فيكون الشتات أرضاً للمُقتلَعين من أرضهم³⁰.

وليس المقام في المنافي أكثر رفقا بهؤلاء. فالمعاهدات التي تُبرم بين الدولة المضيفة والمنظمات الأممية الراعية لقضايا المهجرين لا تعطي لهؤلاء إلا القليل. فاللاجئون الفلسطينيون في لبنان الذي قُدّر عددهم إثر نكبة 1948 بين 100 ألف و131 ألف لاجئ بلغ عددهم سنة 2007 حسب إحصاء وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين الأونروا (UNRWA) 411 ألف لاجئ. ولكن المساحة التي خُصّصت لهم حسب الاتفاقية المبرمة بين الدولة اللبنانية والأونروا سنة 1948 بقيت على حالها رغم تضاعف نسبة اللاجئين 300%، ورغم أنّ الدمار لحق بسبب الحرب الأهلية ثلاثة مخيمات من أصل 15 مخيماً كانت موجودة حتى سنة 1974³¹. وعلاوة على مصاعب الإقامة، فإنّ المشرّع اللبناني وضع قائمة من 72 مهنة يُمنع اللاجئين من ممارستها، كما منعهم من حقّ التملك بموجب قانون صدر في مارس 2001³². ولا شكّ في أنّ القسم الأكثر تعرضاً لآثار هذه المحن هم الشباب، فالتضييق في الرزق والعمل والصحة والتعليم والترفيه مقدّمة مضمونة النتائج للإحساس بالاستبعاد والتهميش في مرحلة أولى، وسبيلٌ لبروز أنماط من السلوك المتمرد على ما يتناهى إلى هؤلاء من خطب ومواعظ حول العدالة والمساواة. فهناك محن مُهلكة يتقلّب فيها شباب كُتب عليه ألاّ ينجو منها.

فماذا يمكن أن نتوقع من مجتمعات تولّد وتنشأ وتكبر أجيالاً من بعد أجيال في المعازل والمهاجر³³ وهم يقتاتون من إحسانٍ قد يأتيهم نظيفاً وقد يأتيهم مخلوطاً بحسابات الأقوياء من المانحين وقد لا يأتيهم؟ وكثيراً ما يتعرّضون لعمليات انتقام واسعة فيقنّى منهم خلقٌ كثير. فأية حياة هي تلك التي يحياها هؤلاء وهم مستعدّون لأنّ يقتل بعضهم بعضاً من أجل ما يسدّ الرمق مثلما تنقل الشاشات إلى بصير العالم صراغهم الغريزي من أجل البقاء؟ وما هي القيم التي يمكن أن يُنشأ عليها هؤلاء؟ وهل ثمة في السياقات الأخلاقية

والسياسية والاقتصادية التي توجّه السلوك الدولي العامّ ما يدفع نحو إنتاج قيم المحبة والإخاء والتعاون؟ إننا لا نقصد قطعاً ههنا إنتاج الخطب وعقد المؤتمرات. هذه أنشطة لا يمكن إلّا مباركتها، ولكنها قشرة لا تقدر على تغيير ذاك السلوك. إننا نميل إلى الاعتقاد بأنّ الجهود التي تبذلها جهات كثيرة في العالم من أجل تحسين ظروف عيش الشباب والبحث عن السبل التي تساعد على إدماجهم في الحياة العامة لا تتجّه رأساً نحو ما ينبغي أن تتجّه نحوه.

المواثيق بين القيم المروّجة لها والقيم المنتجة لها:

• **ملاحظات في مقام الاستنتاجات:**

تدور المعطيات التي أوردنا على الشقّ البائس في الشباب في العالم. وقد يُظنّ أنّ في ما انتخبنا إسقاطاً مقصوداً للجزء الآخر من الشباب المرقّه أو ذاك الذي لا يحيا مشاكل كبرى. هذا الظنّ، إن كان، واقع موقع الحقيقة. ولكن، كان يمكن أن نستحضر المعطيات التي غيّبنا دون أن يطرأ تغيير على النتيجة النهائية وهي أنّ الشباب في العالم يحيون في عوالم كثيرة ورّما لا يعرف بعضهم شقاء بعض أو طيب عيشه إلّا عبر أنباء تصلهم كأنّها القصص التي تحدث خارج الزمان وخارج المكان. وما لم تلتقطه آلة المصور أو تقرير الصحفي أو دراسة الخبير لا يكون واحداً من تلك العوالم على كثرتها. فأيّة معقوليّة إذن لخطابات تبشّر بشباب معلّم القيم والتفكير؟ وهل مهّدت الأرضيات اللازمة لإنتاج معالم هذه الشخصية الشبابية المعولّمة؟

سبق أن أكّدنا أنّ التقطيع الزمنيّ الذي تتفصل بموجبه مرحلة عمرية عن أخرى ليس تقطيعاً حديّاً، فالعبور من مرحلة إلى أخرى يبقى ممكناً بل ضرورياً طبيعة وثقافة. وهذا يعني أنّ الأجيال يُنتج بعضها بعضاً وإن كان للسابق دورٌ ومسؤوليّة وواجبٌ في مساعدة اللاحق. وهو يعني كذلك أنّ أيّ نزوع لبناء الشخصية الشبابية على هيئة ما، يقتضي سريان ذاك النزوع نفسه لتعديل ما ينبغي تعديله في شخصية الأطفال أو في شخصية الكبار. فمتلما يكون الشباب موضوع دراسة يكون الكبار أيضاً. ورّما لا يمكن الوصول إلى مستقبل شبابيّ ناجح ما لم يجعل الكبار أنفسهم موضوع دراسة.

والترويج اليوم من خلال المؤتمرات والاتّفاقات وغيرها من الوسائل والنشاطات للقيم الإنسانية التوحيدية التي ينشأ بسببٍ منها شبابٌ كونيّ الفكر والشعور علامةً على نهوض الكبار بأعباء تلك المسؤولية، ولكن فيه أيضاً إحياءٌ قبل ذلك بأنّ القيم التي زرعها هؤلاء الكبار والرؤى التي صاغوها للعالم ليست القيم والرؤى التي تصلح لتنشئة أجيال المستقبل. فهناك إذن وعيٌ بأنّ المسار العامّ الراهن الذي تُصنّع داخله شبكات القيم وما ينتج عنها من أنماط سلوك يحتاج إلى إعادة نظر. وتأتي في هذا السياق دعوات

لإصلاح أنظمة تعليمية أو اختيارات سياسية أو سياسات اقتصادية أو مراجعات دينية في هذا البلد أو في ذلك.

وهذان الأمران المتلازمان: رغبة الكهول في بناء جسور التواصل والتفاهم بين الشباب في العالم والإقرار الضمني بأنهم السبب في التمزقات الكبرى التي أصابت المشترك بين هؤلاء الشباب، يطرحان تحديات حقيقية. فلا ريب في أن مجرد التوافق الدولي على صياغة مدونة حقوق كونية للشباب أمر بالغ الأهمية. لكن النص في حد ذاته ليس مفتاحا سحريا. فدون ذلك جهود ضخمة يلزم أن تُبذل من الشعوب والدول والهيئات الأممية حتى يجد النص طريقه إلى النفاذ في الواقع الاجتماعي والسياسي والتربوي والديني...

فسألنا إذن هل ثمة علاقة تبادلية بين لحظة صياغة النص (الميثاق) ودرجة الوعي بأهميته؟ وبعبارة أخرى أيهما يسبق الآخر: النص أم الوعي بضرورته؟ أمانا مثال يمكن أن يكون صالحا في هذه المسألة تحديدا: أقرت إفريقيا وقد صارت "الاتحاد الإفريقي"، "الميثاق الإفريقي للشباب". وهو إنجاز نراه سبقا تشريعيًا إذ لم نجد تكتلا جهويا أو قاريا خص الشباب بعهد.

الثابت أن البشرية اليوم اقترب بعضها من بعض اقترابا لا نظير له من قبل، بما أبدع الإنسان من وسائل اتصال مادي واقتصادي. والمتوقع أن يساعد هذا التقريب على إنشاء ما يمكن أن نسميه "المجموع البشري" الذي تتخلص بفضل "المجاميع البشرية" مما كان يمنعها من التواصل. والواقع أن العالم شهد في هذا الطور من تاريخه العدد الأكبر من النزاعات والحروب والتوترات وانتعشت فيه إيديولوجيات الرفض والإلغاء والانتقام. فلا تطلع شمس نهار إلا وتأتيك الأخبار بقتل وتفجير ورسالة صوتية تتوعد واستنفار للجيش والإعلام والخطباء ورجال الدين مما يدعو للقلق والتساؤل عما حصله الإنسان من خير لبني الإنسان بهذا التقريب لأطراف العالم بعضها من بعض. وقد يرى مُحَبِّطٌ (مثلي) أن العالم كأنه ما أبدع الذي أبدع من وسائل التقريب حتى لا تبقى مجموعة بشرية بعيدة فلا تمتد إليها يد باطشة.

• من المعالجة التنموية إلى المعالجة الإنسية

إذا تصفحنا المواثيق الوطنية أو الجهوية أو القارية أو الأممية التي أفردت للشباب بنودا خاصة بهم، أو تصفحنا تلك التي اهتمت بالإنسان مطلقا وجدنا حرصا كبيرا على ضرورة تمتع الناس بجملة من الحقوق التي تحفظ لهم كرامتهم وحريتهم وكل ما لا تستقيم الحياة البشرية إلا به. وننتخب "الميثاق الإفريقي للشباب"³⁴ مثلا لاستخراج بعض النتائج.

اخترنا هذا الميثاق لأنه رأى النور في مجال سكاني الكثافة الشبابية فيه هي الأعلى في العالم من ناحية، ولأن المشاكل الذي يكابدها شباب هذا المجال هي الأشد شراسة على مستقبله من ناحية ثانية، ولأننا

نعتقد أنّ النجاح في استخراج مقومات تنمية عادلة ومستدامة واستتبات معايير إنسانية للثقافات والحضارات الإفريقية من المقدمات الأساسية التي نتوقع أن تكون المدخل إلى صياغة شبه كونية لأخلاقية جديدة ينتظم فيها السلوك الشبابي ويخرج بوحى منها الشباب من عوالمه الضيقة والمتباعدة إلى فضاء تكثر فيه المشتركات من ناحية ثالثة. ولهذا نستطيع أن نجعل من هذا المجال السكاني مرصدا واقعيًا وموضوعيًا لمراقبة صيرورة القيم المحليّة أو الجهويّة أو القاريّة فيما كونية.

يتألف هذا الميثاق الذي أُقرّ في 02 جويلية 2006 بغامبيا في الدورة العادية السابعة لزعماء الدول الأعضاء في الاتحاد الإفريقي من إحدى وثلاثين مادة فضلًا عن التوطئة. ولا يمكن للناظر في محتواه إلا أن يقف منه موقف التثمين. فكلّ ما فيه تشريع متطور لمبادئ حقوق الشباب يأخذ في الاعتبار كونية هذه الحقوق وخصوصية الحالة الإفريقية.

إنّ أبرز ما جاء في الديباجة وعي القادة الأفارقة بالمشاكل التي يتخبط فيها الشباب الإفريقي: التهميش والتوزيع غير العادل للثروة والبطالة والأعمال المهينة والأوبئة والفقر والجوع والأميّة وتدني جودة التعليم والتدخلات الطبيّة العارضة وضعف التنقيف الصحيّ والعنف والانخراط في النزاعات المسلّحة والوقوع ضحية أشكال عديدة من التمييز³⁵. ولا شكّ في أنّ هذه العناوين تختزل التحديات الكبرى التي تقتضي استراتيجيات واضحة المعالم والأهداف وخططا تنفيذية هدفها انتشال فعليّ للعدد الهائل من شباب العالم الموجود في إفريقيا من محن الحياة التي يتقلّب فيها.

وجاءت في الفقرة الأولى من المادة الثانية: "ينبغي أن يتمتع كلّ شابّ بالحقوق والحريّات المتعارف عليها والتي يضمنها هذا الميثاق دون استثناء لأيّ عرق أو جماعة إثنية أو لون أو جنس أو لغة أو دين أو سياسة أو أيّ رأي آخر أو انتماء قوميّ أو اجتماعي"³⁶.

وجاء في العنصر (ج) من الفقرة الثالثة من المادة الثالثة عشرة: "ينبغي إعداد الشباب لحياة مسؤولة في مجتمعات تناضل من أجل السلم والوفاق والتسامح والحوار والاحترام المتبادل والصداقة بين الأمم"³⁷.

وجاء في العنصر (ب) من الفقرة الأولى من المادة السابعة عشرة: "ينبغي وضع آليات لتنمية ثقافة السلم والتسامح لدى الشباب التي تحدّ من مشاركتهم في أعمال العنف والإرهاب والكراهية والتمييز القائم على أساس من الجنس والعرق والغزو الخارجي والاتجار في السلاح والمخدرات"³⁸.

وجاء في العنصر (ج) من الفقرة نفسها من المادة السابعة عشرة: "ينبغي وضع سياسة ترويجية لنشر ثقافة السلم والحوار في المدارس ومراكز التكوين في كلّ المستويات"³⁹.

العلاقة بين الفقرة التي جننا بها من الديباجة وال فقرات التي جننا بها من بعض موادّ الميثاق متينة. ففيها ربط كأنّه علّيّ بين التشريع للحقوق والحريّات من ناحية والسبب الباعث على ذلك من ناحية ثانية.

وهذا في حدّ ذاته مهمّ. فهو مؤشّر نظريّ، على الأقلّ، على انبثاق معالم زمن لا تقوم سياساته الاجتماعيّة والاقتصاديّة على الاستبعاد والتهميش. وفي هذا السياق وجدنا أنّ طرفي العلاقة يوطّرها أمران: إدراك بأنّ الشباب شريك في التنمية وعنصر لا غنى عنه في تحقيق السلم والرفاه، واعترافٌ بدوره في مقاومة الاستعمار والنضال ضد سياسة الميز العنصري في جنوب إفريقيا (Apartheid). ورغم أنّ عمليّة الوصل بين الاستحقاق (الإدراك) والمكافأة (الاعتراف) لا تُفنعنا كثيرا حتّى تكون منطلقاً لسنّ ما يلزم من التشريعات⁴⁰، فإنّنا نرى أنّ الاتجاه نحو إقرار المبادئ التي تضمن الحقوق والحريّات مكسب تشريعيّ يُمكن التحوّل عليه على نحو من الأنحاء للمساعدة في إنتاج ثقافة أفقيّة تخترق كلّ البنى الفكرية والاجتماعيّة والأخلاقيّة القائمة التي مارست ضدّ الشباب الاستبعاد والتهميش.

لكنّ التشريع باعتباره شأنًا قانونيًا لا يمكن أن يكون معيارا كافيا للتدليل على أنّ الواقع الشبابيّ مقبل حقًا على تحوّل نوعيّ. يكون الأمر كذلك إذا كان التشريع نتيجة وعي جماعيّ بأهميّة إقحام المسألة الشبابيّة في مجمل السياسات المستقبلية المنشغلة بمصير الإنسان. ولا يتحقّق أمر كهذا ما لم يكن ذاك الوعي الجماعيّ جزءا من الثقافة الأفقيّة.

وحيث لا يكون الوعي شأنًا ثقافيًا يستحضر المسألة الشبابيّة باعتبارها عنصرا قيميا يدخل في تعريف الإنسان، لا تكون النتائج في مستوى ما تطرحه القيمة من أبعاد. فالتقارير الأُمّية التي عرضنا عيناتٍ منها تكشف عن الأوضاع غير المريحة لعدد كبير من شباب العالم وتفتّح مسالك لا شكّ في أنّها جادّة لإدماج الشباب. لكنّ الذي رأيناه هاجسا مسيطرًا في تلك التقارير هو البعد التتمويّ ذو الطابع الماديّ-الاقتصاديّ⁴¹. أيّ كيف يمكن تحرير الشباب من البطالة والفقر والأُمّية والحروب والأمراض الفتّاكة؟

إنّ هذه الأسئلة وغيرها ضروريّ طرحها وضروريّ الجواب عليها. فالشباب المنسحق بسبب تلك الآفات لا يمكن أن يكون عنصرا نشيطا في عمليّة التنمية إلّا بانهتاقه منها. والنزوع القويّ لصياغة سياسات شبابيّة يتحقّق بها إدماج الشباب في الحياة العامّة من خلال إشعاره بأنّه طرف حيويّ في الإنتاج الماديّ والمشاركة السياسيّة والمساهمة في تنظيم السلوك الاجتماعيّ أمر محمود في ذاته. والاتّجاه إلى توفير الأسباب الكفيلة بمنع هؤلاء من السقوط في محاضن الإجرام والإدمان والإرهاب أمر محمود أيضا.

لكنّ كلّ تلك الأسئلة والأجوبة التي عرضنا تبقى، رغم قيمتها العالية، متحرّكة في أطر ضيقة لأنّها جاءت تبحث عن علاج لأزمات تهدّد استقرار العالم وسلامته الإنمائيّة أكثر من كونها جهدا يحفّزه الإيمان بأنّ العالم يحتاج إلى أكثر من خطط تنمويّة يجد فيها الشباب مكانته ويحسّ فيها بأنّه يؤدّي أدوارا إيجابيّة في الحياة اليوميّة.

إنّ ما نقصد إليه على وجه الدقّة هو أنّ الشباب في العالم لا يحتاج من الكبار إلى برنامج إنقاذ. وربما عنّ لنا أن نقول إنّ مَنْ أوقع الشباب في الآفات وجرّ عليه الويلات هم هؤلاء الكبار. فهم مدانون دون أدنى شكّ. والحلول التي يقترحون مفيدة وجذّابة غير أنّ تأثيرها محدود في المكان وفي الزمان نظرا إلى أنّ المسالك التي نشطت فيها هذه الحلول لم يكن إطلاقها متزامنا مع وقف العمل في المسالك الرئيسيّة والتقليديّة تلك التي أنتجت كلّ تلك المشاكل. فبقاء العالم سوقا وكلّ ما فيه سلعة أو كالسلعة في السياسات الدوليّة لا يمكنه أن يترك فرصة للتطلّعات الإنسانيّة النبيلة. إنّ الفلسفة الماديّة الذاهبة بعيدا في استبعاد الإنسان هدفا أصيلا لتحسين وضعه في الوجود وتقريبه من أخيه الإنسان لا يمكنها أن توفّر أرضيّة صالحة لتحويل تلك المقرّرات الأمميّة والمحليّة إلى سلوك معيش. والناظر في ما صار يُعرّف بتقارير التنمية البشريّة التي تشرف عليها منظّمة الأمم المتّحدة يستطيع أن يدرك بيسر أنّ المشاكل الماديّة تأتي على رأس الأولويّات. والتنمية حتّى وإنّ كانت في الإنسان كما تتّجه أغلب السياسات التنمويّة في العالم اليوم، فالمقصد منها في نهاية المطاف هو توفير المقومات اللاّزمة لاقتصاد متطوّر وحياة عيش مستقرّة. فقد جاء على سبيل المثال في مقدّمة تقرير التنمية البشريّة العربيّة لسنة 2009 التي وضعها مدير المكتب الإقليميّ للدول العربيّة: "إنّ من شأن التنمية البشريّة أن توجّد بيئة يستطيع فيها الناس أن يستثمروا كامل طاقاتهم وقدراتهم بحيث يعيشون حياة منتجة وخلّاقة تتلاءم مع حاجاتهم ومصالحهم. إنّها تعني الإدراك الحاسم بأنّ الناس ثروة الأُمّة الحقيقيّة وأنّ الاستثمار في تنميتهم البشريّة هو السبيل الأكثر ضمانا لتحقيق النموّ الاقتصاديّ المستدام والمستقر"⁴².

فهذا الربط بين تحسين شروط الحياة للشباب وبناء اقتصاد قويّ قد يكون صحيحا في نظر المتخصّصين في الاقتصاد وما يتّصل به من عوامل للتنمية والاستثمار في العنصر البشريّ. لكنّ المنشغلين بالأبعاد الإنسانيّة في الإنسان وبمصير العالم، يرون أنّ هناك شبكة معيّنة من القيم التي إن استُبعدت لم يُجدّ الشباب أو غيره نفعاً اقتصاداً قويّاً وتنميةً مزدهرة.

الخاتمة:

لما فضلنا الكلام على "شباب العالم" بدل "الشباب في العالم" كنّا ندرك أنّنا سنبحث في عالم غير العالم الذي فيه نحيا. وقد يكون في ما فعلنا ابتعاداً عن المعالجة الموضوعيّة لقضايا حيّة. لكنّ البحث في ما هو إنسيّ في الإنسان لا يمكنه أن يكون إلّا مشدودا إنّ كثيرا أو قليلا إلى الآفاق البعيدة التي لا يعرف مستقرّها إلّا عقل ووجدان إنّ لم يكونا حاليّين بزمان آخر، فهما على الأرجح مفجوعان بما عليه خريطة الشباب في العالم اليوم وناظران نحو مستقبل غير منظور.

والميثاق الجامع الذي أحببنا أن نتلمّس السبيل إليه، ليس وثيقة تشريعيّة وقانونيّة تتغلّق عليها قاعات المؤتمرات الأمميّة ولا هو صرخة احتجاج وألم تعلو كلّما مرّت من أمام الأعين مشاهد تدمير مستقبل الأجيال

القادمة. إنّ في العالم اليوم أعدادا هائلة ممّن يُسمّون شبابا ولكنهم أُفِرغُوا من كلّ معاني تلك التسمية. والثابت أيضا أنّ أعدادا أخرى كبيرة في العالم من إخوتهم الصبية لا يتمتعون بما ينبغي أن يتمتع به الأطفال، وهم فوق ذلك ينتظرون دورهم فيذهبون، حين يدخلون المقطع العمريّ الذي يُسمّى عند غيرهم مرحلة الشباب، إلى متاحات العالم ومآسيه كما ذهب من كان قبلهم. وإنّ هؤلاء وأولئك أجلّ في نظرنا من أن يكونوا مجرد قضية أو مشكلة أو موضوع يتداعى الكهول إلى دراسته.

وإنّ كان لا بدّ في مقترحات، رغم كلّ الذي توقّفنا عنده، لصياغة معالم شخصية شبابيّة معلومة فإنّنا نقترح جدولين من المهام: أمّا الأول فيُعنى بالوسائل، وأمّا الثاني فيُعنى بما يمكن تسميته فلسفة صناعة القيم. يضمّ الجدول الأول أربعة مسالك وهي:

- البحث عن مداخل موضوعيّة إلى إنتاج سياق بيداغوجي/ تربويّ ذي طابع إنسانيّ جامع. ويمكن أن تكون الوظيفة الأسمى لهذا السياق، صياغة معرفة جديدة/ بديلة حول تعريف آخر للإنسان وإبراز مقاصد وجوده وسلوكه وعلاقاته.
 - القيام بعمليات تطوير منظّم لوسائل الاتصال المستحدثة ورعايتها وتحويلها إلى فضاءات فعّالة للالتقاء على ثوابت كبرى تتمي في روادها من الشباب المشترك بينهم وكلّ ما ينفر من الانغلاق والتفاضل على أساس عرقيّ أو دينيّ أو تاريخيّ.
 - اتّخاذ هجرة الشباب المتزايدة باستمرار إمكانا جيّدا للتلاقي والتعرف والتقارب وابتداع الحلول التشريعيّة والإنسانيّة الكفيلة بتجاوز مواقف الريبة والشكّ والخوف المتبادلة.
 - العمل على تفعيل النصوص والمؤسسات والهيئات الوطنيّة والإقليميّة المُحدّثة حصرا لبناء معالم الشخصية الشبابيّة وتجاوز المشهديّة البروتوكوليّة التي توقّع فيها المعاهدات والاتّفاقات.
- ويضمّ الجدول الثاني النقاط التالية:

- الدفاع عن الشخصية الشبابيّة الكونيّة لا يعني شطب المختلف والخاصّ ولكنّه يرمي إلى توسيع مساحات الوعي بأنّ الدوائر الثقافيّة والاقتصاديّة والسياسيّة المغلقة ينبغي أن لا تكون مناطق إمّا أن تُحتكّر للتنعم بالحياة وإمّا أن تُحتكّر للكفر بالحياة وما ينجرّ عنه من نزوع حادّ وربما مبرّر إلى الانتقام.
- العمل على صياغة معقوليّة جديدة تتحكّم في ملامح هويّة الإنسان المستقبليّة.
- تحويل التسامح والتواصل والحوار من مادّة إعلاميّة إلى بعد أصيل من أبعاد البشريّة. ولا يكون ذلك إلّا بإيمان الأمم جميعها وصنّاع القرار فيها بضرورتها الإنسانيّة. (خطاب التسامح اليوم يرتفع به صوت الضعيف والمهزوم).

¹ بل إن الاختلاف يكون أيضا داخل المجتمع الواحد وداخل الثقافة الواحدة. أنظر في هذا الإطار:

Olivier Galland, Les jeunes face à leur avenir: une enquête internationale, dans: "Les jeunes et la société: des visions contrastées de l'avenir" (Anna Stellingner (dir)), Fondation pour l'innovation politique, Paris, 2008, pp: 25-53.

² تمتد الطفولة إلى سنّ الثالثة عشر من العمر. وتمتد المراهقة من سنّ الثالثة عشر إلى سنّ التاسعة عشر. وتبدأ مرحلة الشباب من سنّ الرابعة عشر وتتوقف عند سنّ الخامسة والعشرين.

³ ونجد تقريبا زمنيا آخر أقرته دول الاتحاد الإفريقي في "الميثاق الإفريقي للشباب". ففي ديباجته تعريفات منها إن مصطلح "قاصر" (mineur): "كل شخص يتراوح عمره بين 15 و 17 سنة"، ومنها أن مصطلح شاب: "يعني كل فرد يتراوح عمره بين 15 و 35 سنة". راجع النص الكامل: Charte africaine de la jeunesse في الموقع الرسمي للاتحاد الإفريقي (www.africa-union.org).

ومن الدراسات من بحثت في الشباب والطفولة بحثا تاريخيا-نفسيًا فربطت نشأة "الإحساس بوجود مرحلة الطفولة" (le sentiment de l'enfance) بتحسين ظروف الحياة في القرن السابع عشر، وربطت ظهور دلالة خاصة لفترة الشباب بانبثاق النزعة الفردية والتعليم كما بلورها فلاسفة الأنوار. أنظر على سبيل المثال:

Olivier Galland, Devenir adulte est plus compliqué pour les jeunes d'aujourd'hui, entretien réalisé par Anne Rapin, site Internet: www.diplomatie.gouv.fr/fr/article=20116,2002.

⁴ Déclaration sur la promotion au sein des jeunes des idéaux de paix, de respect mutuel et de compréhension entre les peuples (1965).

⁵ Principes directeurs concernant la poursuite de la planification et des activités de suivi appropriées dans le domaine de la jeunesse (1985).

⁶ Programme d'action mondial pour la Jeunesse à l'horizon 2000 et au-delà (1995).

⁷ La stratégie de Dakar pour le renforcement de la capacité d'action des jeunes (2001).

⁸ راجع نصّ التقرير في موقع البنك الدولي: siteresources.worldbank.org ص: 14.

وجاء في تقرير الأمين العام للأمم المتحدة: "تقرير الشباب في العالم لعام 2005": "إنّ الشباب يمثلون مجموعة كبيرة جدًا بين 175 مليون مهاجر في العالم"، التقرير مسجل تحت عدد: A/60/61-E2005/7 ويمكن مراجعته في الموقع الإلكتروني لهيأة الأمم المتحدة: www.un.org، ص: 12.

⁹ نفسه.

¹⁰ يمكن الاستفادة في هذه المسألة تحديدا من الدراستين اللتين أحال عليهما تقرير البنك الدولي:

- Singer Peter Warren, 2005. Children at war. New York: Panthéon Books.
- Stohl Rachel. 2001. Global report on child soldiers released, Washington, DC: Center for Defense information.

¹¹ وأصدر البنك الدولي تقريراً عن التنمية في العالم سنة 2007 تحت عنوان: "التنمية والجيل القادم". وفيه أنّ عدد الشباب (بين 12 سنة و 24 سنة) يبلغ 1.5 بليوناً. وهذا يعني أنّ زيادة هائلة سجّلت في غضون عامين فقط. راجع نصّ التقرير في موقع البنك الدولي الإلكتروني.

¹² نفسه، ص: 3.

¹³ نفسه.

¹⁴ تحدّد المنظّمات الدوليّة سنّ الشباب بين 15 و 24 سنة.

¹⁵ الخوف من المصير الذي يتهدّد الشباب في حال بقاء الحال على ما هو عليه عبّرت عنه دراسة جيّدة أعدّها كلّ من طارق يوسف ونافتاح ديّلون تحت عنوان:

Generation in waiting: the unfulfilled promise of young people in the Middle East, Brooking Institution Press, Washington, D.C, 2009.

¹⁶ راجع ذلك في موقع الأمم المتّحدة: www.un.org، تحت عنوان: صدور دليل عمليّ لمساعدة الفئات الضعيفة من شباب الريف في إفريقيا.

¹⁷ نفسه.

¹⁸ بحث مُعدّو التقرير في الفروق بين استخدام مصطلح "مراهق" ومصطلح "شاب" واختاروا أن يهتموا بالمراهق وليس بالشاب. وإذا كان سنّ الشباب يمتدّ بين 15 سنة و 24 سنة، فإنّ "المراهقة" غالبا ما تحددها مختلف الهيئات التابعة لمنظمة الأمم المتّحدة كتجميع لفئة عمرية من 10 إلى 19 سنة ممّا يعني بصفة أكثر دقّة المرحلتين الأولى والثانية من التعليم الثانويّ، راجع هذا في موقع معهد الإحصاء التابع لليونسكو: www.uis.unesco.org، ص: 7.

¹⁹ Gaétan N. Yawo, Demain les jeunes, revue Afriquespoir, n° 38, Avril– Juin 2007.

²⁰ راجع محتوى العدد في الموقع الإلكتروني: www.redcross.int/fr/mag/magazine2003

²¹ Mambo Tabu Masinda (avec la collaboration de Kahindo Muhesi), L'impact de la guerre sur l'éducation des enfants de au Congo(RDC): le cas des enfants de la ville de Butembo, www.ineeserver.org.

²² تستشهد الدراسة في هذا الصدد ببحث أجريّ على الأطفال الفلسطينيين.

²³ وتسمّى كذلك: psychotraumatisme أو trauma. وللتوسّع يمكن العودة إلى:

- Michel de Clercq et François Lebigot, les traumatismes psychiques, Masson, Paris, 2001.
- Sandor Ferenczi, Le traumatisme, Payot, Paris, 2006.

²⁴ خصّصت مجلّة LE Coq- Héron عددها رقم 195 لسنة 2008 لموضوع الضحايا والأزمات النفسيّة الحادة تحت عنوان: "Victimes... et après?" ويمكن العودة فيه على نحو خاصّ إلى:

- Eva Brabant, Penser le trauma, penser la victime, pp: 43–50.
- Judith Dupont, Qu'est- ce qu'une victime?, pp: 25–31.

²⁵ برنامج الأمم المتّحدة الإنمائيّ- المكتب الإقليميّ للدول العربيّة، تقرير التنمية البشريّة العربيّة لعام 2009: تحديات أمن الإنسان في البلدان العربيّة، كركي للنشر، بيروت، ص: 91.

²⁶ راجع حول هذا الموضوع المعطيات التي أوردتها مجلّة: "Le Magazine info" بتاريخ 06 أفريل 2005 تحت عنوان: Enfants- Soldats en Afrique. (www.lemagazine.info/Enfants-soldats-en-Afrique)

²⁷ تقرير التنمية البشريّة العربيّة لعام 2009، ص: 93.

²⁸ ورد هذا في مقال: Enfants soldats en Afrique، مجلّة: Le Magazine info، مرجع سابق.

²⁹ المثال الأشهر الوطن الفلسطيني، فقد باتت ملاجئه أكثر من مدنه وقراه. فمن مخيماته: مخيم رفح، ومخيم جباليا، ومخيم النصيرات، ومخيم الشاطئ، ومخيم البريج، ومخيم المغازي، ومخيم طولكرم، ومخيم جنين، ومخيم الدهيشة، ومخيم دير عمار، ومخيم قلنديا، ومخيم بير زيت.

³⁰ يُقدَّر عدد من يعيش من الفلسطينيين في المنافي بثلاثي مجموع الفلسطينيين موزعون في أغلب دول العالم. في لبنان وحدها 06 ملاجئ رسمية للأجئيين الفلسطينيين.

³¹ على سبيل المثال تبلغ مساحة مخيم شاتيلا: 39567 مترا مربعا، ويُقدَّر عدد المقيمين فيه بحوالي 12335 لاجئ. راجع حول هذه المعطيات وما هو من جنسها: محسن محمد صالح (وآخرون)، أوضاع اللاجئين الفلسطينيين في لبنان، نشر مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، 2008، الفصل الأول.

³² لمزيد التوسع راجع الفصل الثاني: الواقع القانوني للأجئيين من المرجع السابق.

³³ تأسس مخيم رفح عام 1948، وتأسس مخيم قلنديا عام 1949، وتأسس مخيم المغازي عام 1952، وتأسس مخيم جباليا عام 1954. وتتراوح أعمار هذه المخيمات بين 62 عاما و56 عاما. هذا يعني أنّ ما يقرب من ثلاثة أجيال مرت من هذه المهاجر.

³⁴ راجع نص الميثاق (charte africaine de la jeunesse) في الموقع الرسمي للاتحاد الإفريقي: مرجع سابق. (نعمتد في استشهاداتنا النسخة الفرنسية).

³⁵ راجع التخصيص على هذه القضايا، الميثاق، ص: 2.

³⁶ الميثاق، ص: 4.

³⁷ نفسه، ص: 9.

³⁸ نفسه، ص: 15.

³⁹ نفسه، ص: 16.

⁴⁰ هذا الربط بين عنصرَي الإدراك والاعتراف لا يقنعنا كثيرا لأننا نؤمن بأن تمكين الشاب من كافة حقوقه وتمتيعه بكل ما يلزم حتى يكون حرا سنة من سنن الخلق وأصل ثابت في كلّ فلسفة ذات عمق إنسي.

⁴¹ جاء على سبيل المثال في "تقرير الشباب في العالم لعام 2005 الذي أعدّه الأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة، وعرضه أمام المجلس الاقتصادي والاجتماعي للجمعية العامة: "وفي عام 2000 تضمن إعلان الألفية وضع وتنفيذ استراتيجيات تتيح للشباب في أي مكان فرصة الحصول على عمل لائق ومنتج، وهو هدف أدرج بعد ذلك في الأهداف الإنمائية للألفية. فالهدف الثامن هو إقامة شراكة عالمية من أجل التنمية يشير صراحة إلى خلق فرص عمل للشباب"، مرجع سابق، ص: 12.

ويُعدّ برنامج "مبادرة شباب الشرق الأوسط" الذي ينهض بأعبائه مركز ولفنسون للتنمية في معهد بروكغز وكلية دبي للإدارة الحكومية تجربة رائدة في هذا المجال. فقد كانت مقاومة استبعاد الشباب من الحياة المنتجة هدفا مركزيا فيه. انظر مثلا في الدراسة التي أعدها كلّ من نافتيج ديللون وطارق يوسف تحت عنوان: "إدماج: مواجهة تحديات 100 مليون شاب". وكذلك دراسة هيلاري سيلفر: "الاستبعاد الاجتماعي: تحليل مقارن لأوروبا والشرق الأوسط"، راجع ذلك في الموقع الإلكتروني لـ"مبادرة شباب الشرق الأوسط": www.shababin.org/clusion.org.

⁴² تقرير التنمية البشرية العربية لسنة 2009، ص: 5.

مراجع البحث:

أ/ العربية:

- تقرير التنمية البشرية العربية لعام 2009: تحديات أمن الإنسان في البلدان العربية، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي - المكتب الإقليمي للدول العربية، كركي للنشر، بيروت، 2009.
- تقرير الشباب في العالم لعام 2005، www.un.org.
- دليل عملي لمساعدة الفئات الضعيفة من شباب الريف في إفريقيا، www.un.org.
- ديللون نافنج وطارق يوسف، إدماج: مواجهة تحديات 100 مليون شاب، معهد بروكنغز وكلية دبي للإدارة الحكومية: www.shababinclusion.org.
- محمد صالح محسن (بالاشتراك)، أوضاع اللاجئين الفلسطينيين في لبنان، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، 2008.

ب/ الأجنبية:

- Adolescents non scolarisés, www.uis.unesco.org.
- Brabant Eva, Penser le trauma, penser la victime, revue Le Coq-héron, n° 195, 2008.
- Charte africaine de la jeunesse, www.africa-union.org.
- Clercq (de) Michel, Lebigot François, Les traumatismes psychiques, Masson, Paris, 2001.
- Danziger Nick, Les enfants et la guerre, Magazine du mouvement international de la Croix-Rouge et du Croissant Rouge, www.redcross.int/fr/mag/magazine2003.
- Déclaration sur la promotion au sein des jeunes des idéaux de paix, de respect mutuel et de compréhension entre les peuple (1965).
- Dupont Judith, Qu'est-ce qu'une victime? Revue Le Coq-héron, n° 195, 2008.
- Ferenczi Sandor, E traumatisme, Payot, Paris, 2006.
- Gaétan N. Yawo, Demain les jeunes, revue Afriquespoir, n° 38, Avril-Juin, 2007.
- Galland Olivier,
 - Devenir adulte est plus compliqué pour les jeunes d'aujourd'hui, entretien réalisé par Anne Rabin, www.diplomatie.gouv.fr/fr/article=20116,2002.
 - Les jeunes face à leur avenir: une enquête internationale, article paru dans: Les jeunes et la société: des visions contrastées de l'avenir, (sus la direction de Anna Stellingner), fondation pour l'avenir politique, Paris, 2008.
- Masinda Mambo Tabu, L'impact de la guerre sur l'éducation des enfants au Congo (RDC): le cas des enfants de la ville de Butembo, www.ineeserver.org.
- Navtej Dhillon, Tarik Yousef, Generation in waiting: the unfulfilled promise of young people in the Middle East, Brookings Institution Press, Washington, 2009.
- Principes directeurs concernant la poursuite de la planification et des activités de suivi appropriées dans le domaine de la jeunesse (1985).
- Programme d'action mondial pour la jeunesse à l'horizon 2000 et au-delà (1995).
- Rachel Stohl, Global report on child soldiers released, Center for defense information, Washington, 2001.
- Rapport sur le développement dans le monde 2007: le développement et la prochaine génération, www.siteresources.worldbank.org.
- Silver Hilary, Social exclusion: comparative analysis of Europe and Middle East youth, Wolfensohn Center for Development and Dubai School of Government, 2007.
- Stratégie de Dakar pour le renforcement de la capacité d'action des jeunes (la) (2001).
- Warren Singer Peter, Children at war, Pantheon Books, New York, 2005.